

صيد الخاطر

108 - - فصل : لا تنون عن طلب الكمال .

من أعمل فكره الصافي دله على طلب أشرف المقامات و نهاه عن الرضى بالنقص في كل حال .
و قد قال أبو الطيب المتنبي : .
(و لم أر في عيوب الناس عيبا ... كنقص القادرين على التمام) .
فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه .
فلو كان يتصور للآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض .
و لو كانت النبوة تحصل بالإجتهد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن .

و السيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم و العمل .

و أنا أشرح من ذلك ما يدل المذكوره على مغفله : .

أما في البدن : فليست الصورة داخله تحت كسب الآدمي بل يدخل تحت كسبه تحسينها و تزيينها
فقبيح بالعاقل إهمال نفسه .

و قد نبه الشرع على الكل بالبعض فأمر بقص الأظفار و نتف الإبط و حلق العانة و نهى عن
أكل الثوم و البصل النيء لأجل الرائحة .

و ينبغي له أن يقيس على ذلك و يطلب غاية النظافة و نهاية الزينة .

و قد كان النبي صلى الله عليه و سلم يعرف مجيئه بريح الطيب فكان الغاية في النظافة و
النزاهة .

و لست آمر بزيادة التقشف الذي يستعمله الموسوس و لكن التوسط هو المحمود .

ثم ينبغي له أن يرفق بيدنه الذي هو راحلته و لا ينقص من قوتها فتنقص قوته .

و لست آمر بالشبع الذي يوجب الجشاء إنما آمر بالتوسط فإن قوى الآدمي كعين جارية كم
فيها منفعة لصاحبها و لغيره .

و لا يلتفت إلى قول الموسوسين من المتزهدين الذين جدوا في التقلل فضعفوا عن الفرائض .

و ليس ذلك من الشرع و لا نقل عن الرسول صلى الله عليه و سلم و لا أصحابه .

إنما كان الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه إذا لم يجدوا جاعوا و ربما آثروا فصبروا
ضرورة .

و كذلك ينبغي أن ينظر لهذه الراحلة في علفها - فرب لقمة منعت لقمات - فلا يعطيها ما

يؤذيها بل ينظر لها في الأصلح و لا يتلفت إلى متزهّد يقول لا أبلغها الشهوات .
فإن النظر ينبغي أن يكون في حلّ المطعم و أخذ ما يصلح بمقدار .
و لم ينقل عن الرسول صلى الله عليه و سلم و لا أصحابه بهم ما أحدثه الموسوسون في ترك
المشتهيات على الإطلاق إنما نقل عنهم تركها لسبب إما للنظر في حلها أو للخوف من مطالبة
النفس بها في كل وقت و يجوز ذلك .
و ينبغي له أن يجتهد في التجارة و الكسب ليفضل على غيره و لا يفضل غيره عليه .
و لبيلغ من ذلك غاية لا تمنعه عن العلم ثم ينبغي له أن يطلب الغاية في العلم .
و من أقبح النقص التقليد فإن قويت همته رفته إلى أن يختار لنفسه مذهبا و لا يتمذهب لأحد
فإن المقلد أعمى بقوده مقلده .
ثم ينبغي أن يطلب الغاية في معرفة الله تعالى و معاملته و في الجملة لا يترك فضيلة يمكن
تحصيلها إلا حصلها فإن القنوع حالة الأردال .
(فكن رجلا رجله في الثرى ... و هامة همته في الثريا) .
و لو أمكنك عبور كل أحد من العلماء و الزهاد فافعل فإنهم كانوا رجالا و أنت رجل و ما
قعد من قعد إلا لدناءة الهمة و خساستها .
و اعلم أنك في ميدان سباق و الأوقات تنتب و لا تخلد إلى كسل فما مات ما فات إلا بالكسل و
لا نال من نال إلا بالجد و العزم .
و إن الهمة لتغلي في القلوب غليان ما في القصور و قد قال بعض من سلف :
(ليس لي مال سوى كرى ... فيه أحياء من العدم) .
(فنعت نفسي بما رزقت ... و تمطت في العلا هممي)